الكورونا، ولادة روح وفلسفة حياة

بقلم أ.د. كلود عطية (مدير معهد العلوم الاجتماعية (3)

الكورونا اللالانسانية في زمن البحث عن الانسان، عن الحب، عن العقل، عن العلم والمعرفة والحقيقة ... هي حرب الهية لاختبار البشر في ايمانهم العلوي المقيد منذ آلاف السنين بالتراب ...بالارض التي تحولت الى جنة من ملذات يقاتل من أجلها البشر...حتى الموت بحبوب الهلوسة التي تحقق الرغبة في الحياة الأبدية دون ألم ...لو لدقائق أوساعات .. هي الحياة التي يبحث عنها أبناء الموت .. هؤلاء الذين استسلموا لرغبات الجسد ، وسقطوا رهينة الأنا المريضة الخبيثة وشربوا السم من أفواه الأفاعي، علهم يسرقون مناعة في وجه المرض، وهم لا يدركون بأنه منتشر في كل خلية من خلايا وجودهم ..

الكورونا الباحثة عن الفيروس الموجود منذ البدء في قلوب الشياطبن.. تلك القلوب التي فقدت الحب.. يذكر بقدرة الخالق على الخلق.. وأن الصراخ عبثاً في وجه الله لا يصل صداه الى حدود الغبار.. وأن لغة الإيمان لا ينطقها الا من أبصر النور في عيون الظلام.. وهنا ينتهي الكلام عند حدود العقل الذي زرعه الخالق في جمجمة قد لاتختلف بشكلها عن جمجمة أي حيوان.. مع الرأفة بالحيوان في زمن كفر فيه الانسان وشرع لنفسه الالهية التكفير بأبناء العقل والمنطق و العقل والعلم ..

الكورونا الباحثة عن الأخلاق في عالم التكبر والحقد و الغيرة والحسد والأنانية العمياء.. تدخل نفق الجحيم.. ذاك النفق الأسود حيث تعيش خفافيش الليل من تجار الدين والدم ولقمة عيش الفقراء .. هي الكورونا البشرية اللاأخلاقية التي اخترقت بيوت الصلاة المغلقة والمقنعة بالخشوع.. وتلك الغرف المعزولة حتى عن ثقب واحد يدخل عبره خيط رفيع من العطاء.. والمحبة.. تلك المحبة المطعونة بسيف الجهل والكذب والخيانة والعمالة .. تلك المحبة المقتولة من الواقع والخيال..لأنها تشبه الوهم أو المرض أو هذا الفايروس المركب بالنسبة الى المتكبرين على نعمة التواضع والحب والفرح والسلام.. وهي بالنتيجة أي المحبة لا تحتمل الأنا

المتعالية على الذات الانسانية .. ولا تحتمل حتى التفكير بتقييم البشر في الارض ومحاسبة الأرواح المتنقلة بين الاجساد و العباد ..

في زمن الحجر ، علنا نلتزم مهد ولادتنا حلى انقضاء الدهر .. ولا نخرج الا ومعنا دواء جراحنا وجراح أرضنا وشعبنا .. علنا نلتزم الصمت أمام الموت المقتحم لارواح أطفالنا وكبارنا.. علنا نفهم بأننا نشبه الغبار في زمن العواصف السماوية .. وقد نشبه النسور في زمن الحروب ..فلا معنى لشروق الشمس لولا لحظة الغروب .. ولا معنى للموت لولا عظمة الحياة ..

سينتهي زمن الكورونا .. ويبقى المؤمنون بعقيدة الانتصار .. بعقيدة الحق والحرية والحياة .. سيتنهي هذا المرض من أجسادنا لأنها فانية .. لأنها ترابية.. ولكن الخوف من بقاء المرض في أرواحنا.. في أفكارنا.. في عقولنا.. في قلوبنا.. في كل قطرة دم.. وهنا ينتصر الشيطان في تجربة الله .. علنا نعود الى الانسان في وجه الله .. ونعيد حضارة الانسانية .. نعيد الحب المفقود في زمن التباعد الاجتماعي و الفكري..

فالحب في زمن الكورونا ولادة روح وفلسفة حياة .. والفلسفة صراع العقل والروح.. ولاتكون الا في الصراع.. كما الحب لا يكون الا في الصراع والحرب التي لاتخمد نيرانها في ابتعاد الارواح ولا في احتكاك الأجساد المادية المرتهنة للخيال والضعف والأنانية وفقدان المناعة الوجودية ..

فرضت الجائحة تباعداً جسدياً حقيقياً، كشف بالمطلق، بأن ارتهان الجسد للجسد هي حقيقة الحب المفقود في عالم الأرواح.. وارتهان الروح للروح حقيقة الحب المفقود في نفق الجحيم أو فردوس الحياة .. وتبقى النتيجة أخطر من المرض حيث تشبه الفراغ.. حيث يفقد الانسان في حجره الاخلاقي والانساني المنطق في طريق البحث عن الخيال .. ويكون سجين الخيال والخوف من الموت في البحث عن المنطق.. وهو لايدرك أن لا منطق في الحب والحياة ولا خيال..

قد تعجز الأفكار في زمن الكورونا عن صياغة فكرة الحب.. وقد تنسج الجائحة هذه الفكرة من التفكير بالحب..والتفكير في زمن الكورونا بات يشبه المعجزة التي لايعترف بها الانسان المحجور والمرتهن للموت خنقاً.. هي المعجزة المولودة من الحرب على الموت كما الحرب على النسيان .. الكورونا تثبت وجود ذرات شعورية في خلايا التفكير .. تسرع نبض القلب وتدفق الدم في الشرايين ،و تخلق على الوجوه البشرية اشارات

عبور الى الفرح أو الى الحزن .. الى الموت أو الى الحياة .. هو صراع الذرات الروحية و الجسدية البركانية حيث يركع الخيال خاشعاً.. والعقل المدبر يصرع بكلمة واحدة اسمها الحب.. لامرأة أو الحياة.. وقد نختصر هنا المرأة بالحياة .. لنرى مساهمة الفايروس القاتل .. في انعتاق الذات من الوحدة الى اقتحام الحب لتركيبة الانسان البيولوجية والعقلية والروحية .. وإن تطابقت الذات في زمن التباعد الجسدي، كان الحب وكانت الحياة ..

أما الصراع الاقوى في عالم التباعد.. فيكون بعدم التطابق بين ذرات انسان و انسان..والاصرار الأناني على البقاء في حالة الحجر .. والوهم.. وهي الوسيلة الوحيدة لتجنب الاعتراف بخسارة الحب وفقدانه من التفكير..هي أسوأ المشاعر الانسانية .. أن تعيش في عزلة تنتظر الحب وأنت تدرك بأنه وهم .. وأن تعيش وهم الانتصار على المرض.. وأنت لم تشارك في الوقاية منه.. وأن تبشر بما يعنيه الحب وأنت لم تعرف الحب.. تبقى النتيجة أنك في حالة صراع.. والصراع فلسفة الحب.. علنا نصارع لنعرف الحب..ويعرفنا..علنا نخرج من حجر أنانية أفكارنا..وانعزالية أرواحنا..ونلتقي في زمن الكورونا والتباعد الجسدي.. فالحب الروحي هو فلسفة الحياة ...